بأنه لا أساس للعدل والحق الاخلاقي في الاستيطان الصهيوني في فلسطين . لقد كان هذا الاستيطان ، منذ البداية ، عمل عنف ونهب وسلب ، « فهذه هي الطريق المعتادة لخلق شعب جديد » .

وتعتمد هذه الحجة على القول بأن مصائر الشعوب لا يحددها العدل والحقـــوق الاخلاقية بل « الدم والحديد » وخلق الامور الواقعة . وما عدا ذلك من الذرائع الاخلاقية والقيم الانسانية ليست الا ستارا من دخان .

ان هذه النظرة الصريحة في المرافعة عن الشرعية الاسرائيلية تضع كل شيء على ميزان العنف والقوة . ويبدو ان اغلبية الاسرائيليين كانت أسيرة هذه المرافعة طيلة ازدهار حق العنف في تجربة ربع القرن الاول ، بدليل ان ما دفعهم الى اعادة النظر بخطورتها هو اختلال ميزان العدل الدموي بعد حرب تشرين .

ويلاحظ الكاتب عفرون ان هذه النظرة تنسف القاعدة الاخلاقية لاسرائيل ، وتعطي مبررا مقنعا لاعمال العنف المضاد . فاذا كان هذا هو ميزان الحق ، فكيف تندد بالعنف المضاد ؟ ولكن خطورتها على الاسرائيليين أنفسهم تكمن في انها تدفعهم الى التساؤل عن جدوى التضحية من أجل هذه البلاد ؟ طالما انهم يعرفون ان لا حق لهم فيها الا بالقـــوة ؟ .

يقول الكاتب : « ان وضع كل شيء على ميزان القوة يعني الاعتراض على اعترافنا الذاتي بحقنا . ومن هنا ينبع اعتراض على قوة صمودنا الاخلاقية . فمن يعتقد ان حقه في هذه البلاد ليس الا حق القوة ، كيف يشعر فعلا بأنها بلاده ؟ كيف يستطيع أن يحبها بدون قلب ؟ كيف يضحي في سبيلها . واكثر من ذلك : اذا كان كل شيء يتوقف على القوة والمنفعة الشخصية ، فلماذا لا يسلك كل شخص وفقا لذلك في سلوكه اليومي ؟ ان هذه النظرة تقود الى التفتت والانانية ، وهذا ما ظهرت بوادره الاولى في الحرب الاخيرة » .

من أين يأتي الحق اذن ؟

ان الكاتب الاسرائيلي بوعز عفرون لا يعترض على « الحق » الاسرائيلي في فلسطين ، رغم صعوبة البرهنة . ولكنه يعترض على الطريقة الصهيونية الرسمية والشاملة التي يبرر بها هذا « الحق » . انه يبحث عن حق اكثر حقا ، اكثر صمودا امام المحاكمات الفكرية والعلمية ، واكثر اقناعا .

ويعترف بأنه من الصعب العثور على حق حقيقي ومقنع للشعب اليهودي في فلسطين « ولكن من الممكن ايجاد تأسيس لحق الشعب الاسرائيلي في اسرائيل » .

ويعتمد في ذلك على عنصر الزمن الذي انضج واقع « نشوء هوية قومية فريدة في نوعها . صحيح ، اننا يهود ، ولكننا اسرائيليون أيضا . وهذا ليس الشيء نفسه تماما» .

لعله يريد القول ان للاسرائيليين الذين نشأوا في فلسطين حقا في هذه البلاد بسبب تبلور طابع وطني خاص بهم ، ولكن ليس لليهود في العالم مثل هذا الحق . « نحن هنا لان هذه البلاد بلادنا ، لان لنا علاقة غير مشروطة بها ، مهما كانت الاسباب التي دفـــعت بآبائنا للمجيء هنا » .

كان من السهل على عفرون ان يسقط المرافعة الصهيونية التقليدية (الحق التاريخي) والسياسية الحالية (حق القوة) في أرض فلسطين . ولكن لم يجد السهولة ذاتها في محاولته صياغة حق حقيقي اسرائيلي ، لانه اعتمد على منجزات ما رفضه قبل قليل « مهما كانت الاسباب التي دفعت بآبائنا للمجيء » .